

# سولكينغ ملك الهامش الذي يعود إلى الضوء

## عبدالرؤوف دراجي

### يكتسح الحراك الجزائري بأغنية تصبح أيقونته











• كلمات أغاني سـولكينغ تتحول إلىٰ إيقونة خرافية يرددها الكل،

أطفالا و شياياً وشايات، نساءً أميات ومتعلمات لا فرق.

هي فقط لحظة عابرة؟

أبوبكر زمال كاتب جزائري

- "ببدو أن السلطة تربيد أن تشتري نفسها، الحرية هي ما تبقّي لنا. ولكنّ انتهي الأمر، لقد امتلات الكاس عن آخرها. إنهم يصرخون في الأسفل، هل تسمع صوتهم؟ صوت العائسلات المليء بالحرن. الصوت الذي يصلَّى من أجل غد أفضل. اعذرني لأنني موجود، أعذر مشاعري. وإذا قلت لك أننى سعيد كونى معيك فأنا كاذب. اعذرني لأننى موجود، أعذر مشاعري. بهدوء أطلب منك أن ترد لي حريتي. حرية، حرية،

تلك فقرات من كلمات أغنية 'الحرية" التى غدت بين حراك وحراك النشييد الرسمي له. أدّاها المغني الجزائسري عبدالسرؤوف دراجسي، رفقة كتاب الأهازيج الرياضية الخاصة بأحد أعرق الفرق الرياضية الجزائرية "اتحاد العاصمة" الذين يطلق عليهم اسم "أولاد البهجة" وهم مجهولون لا يعرف أحــد عددهــم ولا وجوههم، بــل تعدّهم بعض التقارير من أوائل الذين نزلوا للشسارع في بداية الحسراك، وكانوا وراء



دراجي الذي يشتهر بلقب «سولكينغ» ومعناها «ملك الروح» لم تكن حياته الفنية سهلة، ولم تكن طريق الموسيقي ونوعها ونعني به «الريغي» و«الراب» و«الهيب هوب» و«السول»، الذي اختاره للغناء في الجزائر متاحا له الحضور بجنب أنواع أخرى تسيطر على الساحة الفنية في الجزائر وتحتكر الأذواق



العديد من الشعارات والأغاني التي توالت في سماء الجزائر منذ ذلك أصبحت تلك الأغنية أيقونة خرافية

بردّدها الكل، أطفالا وشبابا وشابات وحتى شبيوخا، نسباءً أميات ومتعلمات لا فرق. تسمعها في كل مكان وفي كل وقـت، فـي السـاحات، فـي المحلات، في الأسواق، في السيارات في رنات الهواتف، ومطلوبة حتى في أعرق الكباريهات والأعراس والحفلات. الكل يترنم بها، يعرفونها ويرددونها مقتنعين أنها تنطق بروحهم ومن روحهم، استقرت في الوحدان والضمائس كما لم تفعله أيّ أغنية من قبل ولن تفعله أبدا ما دامت هي صوتهم القادم من عمق الظلم والقسوة، من شوارع وأزقة وتفاصيل الحياة المضنية التي عاشها الإنسان الجزائري البسيط. حياة لا يعرفها الذين تملكوا ونهبوا ثرواته وأمواله ومقدراته.

#### ملوك الهامش

الفنية سهلة، ولم تكن طريق الموسيقي ونوعها ونعني به "الريغيي" و"الراب" و"الهيب هوب" و"السول"، الذي اختاره للغناء في الجزائر متاحا لله الحضور بجنب أنواع أخرى تسيطر على الساحة الفنية في الجزائر وتحتكر الأذواق. فمثله مثل البدايات السرية لأغنية "الراي" التى كانت تقريبا محرّمة وممنوعة، التهميش ومن ضيق المساحات التي يبرز فيها. ولم تلجأ الهيئات الرسمية لإشراك مؤدّي هذا النوع من الموسيقي في الحفلات التي تقام بمناسبات كثيرة إلا في ما ندر، ويقيت لهـؤلاء هوامش قليلة جدا يظهرون فيها، وعندما انتبه العديد منهم إلى قوة تأثير شبيكات التواصل الاجتماعية، ومنها اليوتيوب التي تمنح سرعة رهيبة ومذهلة للانتشار عمدوا وبإمكانات بسيطة إلى تسجيل أغانيهم

وموسيقاهم فيها. وصل العديد منهم إلى قلوب الملايين من العشاق فبدأ الازدهار والشيوع، وكان من بينهم درّاجي المولــود في العام 1989 بإحدى ضواحى العاصمة الجزائرية، وعندما نقول الضواحى فمعنى ذلك مناطق مأهولة بالسكان، وأحياء شعبية فقبرة مهمّشية تقاوم شيظف العيش وهموم

من هــذه الأحياء بدأ مشـــاوره الفني المتواضع، أسس فرقة راب "أفريكا جانغل" وأصدر معها ألبومين. سـجلت الفرقة أغانيها في اليوتيـوب، غير أن أبواب الشهرة بقيت موصدة ولم تحقق الفرق نجاحات كبيرة، بسبب افتقارها لرؤية محددة واستراتيجية للتسويق ناجعة، وكما أسلفنا

مع الخبرة والطموح والإصرار على التفوّق والنجاح والتميّز والإيمان بالموهبة وبالطريق الذي يُنار من بعيد، قرّر السفر إلى فرنسا، وقيل أنه "حرق"

فجمهور الراب بقي جدّ محدود في

وهيي كلمة تعني الهجرة بطريقة غير شرعية واستقر بفرنسا 2014، صال وجال واستطاع في ظرف وجيز أن يحقق شهرة كبيـرة بأغنيــة "حرب العصابــات"، وقد حققت نسبة مشاهدة خرافية على مواقع دراجي الذي اشتهر بلقب "سولكينغ" النت بلغت الملايين، تعيد رسم معاناة المهاجرين الأفارقة في أوروبا، وكيف ومعناها "ملك الروح" لم تكن حياته كانوا يقاومون العنصرية والاستغلال والظلم، غنَّاها بلغة فرنسية دارجة عامية، إن صحّ التوصيف، من حيث سرعة التلفظ بالكلمات وتوظيف بعض كلمات العامية الجزائرية وإقحام أسماء زعماء أفارقة كنيلسون مانديلا للإشارة إلى ما مرّوا به

#### من محن وصعاب. دالندا والجرية

ظهر ذكاء دراجي من خلال اقتباسـه مقطع من أغنية "بارولي، بارولي، بارولي" للفنانة العالمية الراحلة ذات الأصل المصري داليدا، تعبيرا عن وفائه لهذا الصوت المتميّز الذي حقّق شهرة بعد ظروف قاسية وأطلق اسمها على هذا الألبوم، وتخطَّت الأغنية أيضا كل التوقّعات من حيث المشاهدة والمتابعة.

غناء الراب والهيب هوب والريغى

أنماط تعانى من التهميش ومن

ضيق المساحات التي تبرز فيها.

ولم تلجأ الهيئات الرسمية

لإشراك مؤدي هذا النوع من

الموسيقي في الحفلات التي

تقام بمناسبات كثيرة إلا في

ما ندر، فبقيت لهؤلاء هوامش

قليلة جدا يظهرون فيها

وفى غمرة نجاحاته المتصاعدة في ترتيبات ألبومات الأغاني الفرنسية، حيث وجد تربة خصبة من خلال احتضانه ورعايته من طرف وكلاء وشركات بخبرات واسعة في التسويق والإشهار، وغيرها من الطرق والأساليب التي تصنع الفنان وشهرته، وهو ما كان يفتقده في مشواره بالجزائر، جاءت المظاهرات التي هـزت عرش النظام الجزائري حين خرج الملايين في حراك جماعي كبير ضد ترشح الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، وما تلاها من اعتقالات وسلجن ما عُرف بالعصابة من رجال أعمال ورؤساء

حكومات ووزراء. حاءت أغنية دراجي "الحرية" وتغلغلت في الحراك وطارّت في الجوّ، وخلقت لهذا الأخير نغمته وشعره وموسيقاه، وغدت فسحة تضاف إلى مطبخ الحراك الذي كان ينقصه نكهة جديدة تضفى عليه روح المقاومة والتحدّي، ومع أنها زادت من شهرة الفنان حيث لم يعُد خاف على أحد هويــة هــذا الفنــان وحياته؛ كيــف كان وكيف أصبح فالصحافة الجزائرية عادت إليه وتكفّلت بتقديمه على النحو

التالي، فهو في "العالم الحقيقي"، شـاب

جزائسري مهاجس، طويل القامسة، نحيف القوام، قمحي العشرة، سيظهر لاحقُّذا في سترات "الكول غولى" ذات الياقة المدوّرة، والمعاطف الداكنة، مرتديا قبعة رياضية

وهو كغيره من المهاجرين الجزائريين غير الشرعيين كان يعيش وضعا احتماعيا صعبا، مما دفعه الأمر إلى الاشتغال في عدة مهن صغيرة؛ أسواق الخضر ومغاسب السبيارات، وغير ذلك من الوظائف المُتاحة، ويبدأت النعوت والألقاب تتوالى عليه؛ الإعصار، القنبلة الجزائريــة العالميــة القادمة، تســونامي فني، وغيرها.

نجح سولكينغ في الاستحواذ على جسيد الحيراك وخطفت كلماته أسيماع الجزائريين، فهي مكتوبة بلغة فرنسية جدّ بسيطة، لا تعقيدات فيها ولا بلاغة معقّدة، ولم تستعمل فيها الكثير من الآلات

الموسيقية، تكاد

تطغئ عليها

آلة القيثارة

مع أصوات رجالية تؤدّي الأغنية دون تقنيات تحسين الصوت، وقد أدَّاها الفنان بكثير من الحــزن والتأثَّر، ويظهر صوته مرّات ممزوجا بتقنيات تساعد علىٰ تنقية الصوت، أو ما يعرف

مثلما لے بکن أحد بتوقّے مفاحأة الحراك وما فعله بالشوارع طيلة أشهر، لأغنية دراجي، فقد كان يمكن أن تمرّ هكذا أو تحقّق في أحسن الأحوال نسب متابعة عالية في النت أو في ترتيبات "الهيت بارد" أو في سلّم الأغانى الفرنسية خاصة، كما درج عليه الفتان منذ أن احتضنته الشركات .. الفرنسية وتوابعها، وفعلته من قبل مع الشاب خالد ملك الراى والشاب مامى والراحل رشيد طه وغيرهم.

هل يمكن أن تُســجل هذه الأغنية في تراث الأغنية الجزائرية المعاصرة وتخلد؟ أم هي فقط لحظة مرتبطة بحدث ما رالت معالم مستقبله غير واضحة؟ هل مقاييس النت دقيقة وعلمية وموضوعية لكى نعطى تقييما صحيحا وحقيقيا عن الحضور والانتشارا

هذه أسئلة تأتى بقوة رأسها كي تفتح الأبواب لفهم الظروف المحيطة بأي نحاح، خاصة ذلك الدي يأتي من خارج

#### ظاهرة ومأساة

نجح دراجي ورياض محرز وجمال بلماضي في التألق في مجال عام يفهمه الجزائريون دون الذهاب إلى عباقرة أخرين في مجالات أخرى معقدة. نحح هـؤلاء لأن الغبن والقهر والحقرة والتهميش، وهـي عوامل تأتـي بنتائج عكسية تولد الشجاعة والإقدام والتحدي قد تبهر وتدهـش حتى أصحابها خاصةً من يبحثون عن حرية أكبر وأوسع، وهو ما تنادي وتصرخ بها هذه الأغنية.

الحفل الذي أقامه الفنان سولكينغ ومجموعة من الفنانين بعضهم أجانب

الجزائري حتى عندما يصل إلىٰ ذروة فرحه بموت بشكل مأساوي لا ذنب له فیه سوی آن یری بأمّ عینیه ما کان یعتقد أنه مستحيل الرؤية أو أنه يسبح فقط في فضاء النت أو يصنع خارج حدوده بلده، ولا يمكنه بأي حال من الأحوال أن

يتلمسه أو يحس به. جاء سولكينغ الظاهرة والخرافة والرمز إلى أرضه التي تتغذّى اليوم بمطر الحريـة بعد جدب وقدـط. أراد أن يكون بسن معجبيه الذيسن يتتبعونه في حله وترحاله، يلتقطون كل كبيرة وصغيرة تتعلق به، فهم أول من يجب أن يحتفوا به. قدّم ما عليه فرحا ومنتشبا كأي فارس يمتطى فرس النجاح الذي طار به خارج هـذه الأرض، لـم يعرف ما حدث حسـب

منشور له وضعه في حسابه حيث تحسّر بألم على هذا الأمر، وقال "ما كان لي ولأصدقائي الفنانين أن نصعد إلىٰ المنصة لو علمنا بهذا الحادث".

تلك أخلاق من تربئ في حضن البؤس والشــقاء مكابرا وفنانا مؤمنا أن قدره سيذهب به إلا حيث بريد. تعالت أصوات من هنا وهنا تلوم هــذا وتلقى اللائمة على هذا. بل حتى من كتب أنه قبض الملايين مرتوية بدم هؤلاء.

كتاب الأهازيج الرياضية الخاصة الذين يتبعون لأعرق الفرق الرياضية الجزائرية «اتحاد العاصمة» يطلق عليهم اسم «أولاد البهجة» وهم مجهولون لا يعرف أحد عددهم ولا وجوههم، بل تعدّهم بعض التقارير من أوائل الَّذين نزلوا للشارع في بداية الحراك الشعبي

وقال أخر إنه لا يمكن أن يتحمّل المسـؤولية في شـيء، فليس هو من نظم وليس هو من وقف على الأبواب. وقامت السلطة بإقالات في صفوف المسؤولين الكبار في الدولة منهم خاصة المدير العام للأمن الوطني، ويقبع المسوؤول الأول عن الديوان الوطنى لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة في السجن باعتباره المنظم المباشس للحفل، ويخضع أكثر من 30 فردا

للمساءلة القانونية من طرف العدالة. ربما كانت الجزائرية أو الجزائري وهـو يتدافع للدخـول إلىٰ المـكان الذي احتضن الحفل، يذهب أيضا نحو قدره المفجع، ولكن في قلبه الصغير لم يمت وإنما قدّم روحه الغالية فداء لمن يحب، لمثاله الأعلي، ولرمزه الأسمىٰ كما فعل أجداده وشهداؤه من قبل. وتلك عقيدة أخرى متجذرة في أعمق الإنسان



كالمغنية الألبانية دوراتا دورا التي أدّت

معه أغنية لاقت نجاحا كبيرا، ويعض

الأفارقة المهاجرين من الجيل الرابع

وبعض الجزائريين المغتربين وكلهم

معروفون وسط الشباب الجزائري، جلبهم

لمرافقته، لم يكن أحد يتوقع أن ينتهى

بموت تراجيدي يشبه الملهاة لعدد من

المعجبين، هكذا